

الحرب والسلام

ووجها يرقشه الزهو ،
ويبقى على الرف وجه اضمده كل يوم ..

● على الهضبه .

كان بعض الجنود استراحوا وراحوا على
الصخر الابيض المتجهم يقتسمون الطعام وينتظرون
الاوامر ، لم تنته الوجبة ، انفجر الحجر الابيض
المتجهم :

كانت وجوه معابة بالرصاص ،
وكانت وجوه دما ،

وكان وجوه تأمل جامدة مثل شمع جديد ..

● هذه الورشة . الآن عشر مكائن فيها .

ولكننا حين جئنا المدينة كنا انفرطنا خرز .
حين نجتاز مرتجفين ازقتها والشوارع ، كانت
متابعة القدر الطيقي لاجهنا ،

شبح يتهدنا سيفه كل يوم .

كبرنا . ألفنا مدلته والعذاب ، نما عشب الموت
فوق الجلود .

ولكننا في زحام المدينة صار لنا موقع آخر
لل هجوم ،

وصار العدو المدافع ...

● اللواء الذي يتقدم يومئذ ان نتأخر بعضا من
الوقت .

اللواء المدرع مشتبك . نتقدم . طائرة تسقط
الآن والنار تشتعل - الجبهة :

تنسحب العربات مخلقة جثنا وحطام .
الجنود على القمة ،

والسفح ،

وفي آخر السلم الحجري .

● في الصحيفة كنا ثلاثة مرتزقين .

الرجل الجالس في الركن : أحاديثه تملأ الغرفة
حين يكون وحيدا .

العشيقي تخلى ، وزوجته الآن في الباب تحمل
ما بين اقدامها والجبين حديقة موت وحزن انتهاك .

النحيل الوديع : ضجيج يغلف جبهته المستكينة ،
يحمل في صدره روح طير ، وما بين كفيه والوجه

تطل القرايين تدعوه ، ووجه حبيته راكد في زجاج
النوافذ .

ثالث : تبديل ألوانه كالفصول ، وقمصانه
تنضح العطر . كان يجيء أخيرا ليلقي ببضع سطور

ويمضي ، وتمضي العطور ..

الثلاثة خرب أحداقنا ما رأينا .

نرسم الآن فوق المناضد بعض الطيور ...

عربات القطار تجيء محملة بالبنادق ، بار المحطة
ممتلىء بالنجوم التي تتلامع والفقهات .

كان في الشوارع اعلان فيلم جديد ، وسيارة
تعلن عن سحبة اليانصيب ، وسيل من البشر القلق
المتهامس - امرأة نصف عريانة .

تستدير الرؤوس اليها - الجليد المذهب فوق
السهول السريعة .

ان ناقلة تطرح الآن اطفالها . فتيات ثلاث تهامسن
عن ضابط اشقر يوقد سيكارة بانفعال ..

● قرب بار المحطة كان الوداع الاخير :

تحدث ، اسمعها كل ما تشتهيئه من اللفظ ،
حين استدارا :

« على كل حال ، صباح الغد ، الفجر ، قطعانا
باتجاه ال ... »

ولكنه الواجب الوطني .. هنا مخزن الصحف
الآن ، هذي مجلتك ، الفتيات الجميلات فيها .. »

« أنا لو تجملت أفضل ، أجمل منها .. استمع !
ليس تنسى الذي كان عنه الحديث ، المقاييس

عندك » .

« حين أعود ، تكونين أنت اكنزت ، أنا قد
هزلت .. »

● حين كان القتال ، وبعد القتال ، الاعاشة
ما ارتبكت لحظة والبيانات ترادف وافية بالتفاصيل .

حين كان القتال ، تهاويت ما بين سبع محطات
بث اتساقط ما بين أسلاكها يتقاذفني الضرب

العسكري ، وأسجن حين تموت المحطات في الليل ،
ما بين أسلاكها عنكبوت .

كان صوتي تكسر فوق بلاط البيوت التي امتلأت
بالصدي والشجيج .

كان صوتي تمدد مستوحشا في ضجيج الدعاية ،
وانساب نحو البيوت التي تهطل فيها غيوم من الحزن ،

والاوجه المترقبة الصوت تشحب ، تيبس كالقشر ،
بعد جفاف الدموع -

عجوز على الباب تبكي ، تهدم مثل السياج !

● حينما جئت ، كنت أريد المخازن والسوق ،
كنت أريد الحياة الجديدة .

وأنا في نهاية هذي الطريق ، أضعت المخازن
والسوق ، عدت الى الكهف الحضري المحجب ،

أصبغ وجه الخطيئة بالحب ،
أضيع وجه الخيانة بالصخب المتناثر مثل شظايا

الزجاج .

فاذا ما تمكنت أخرج من كهف الموت يوما ،

سأحمل وجها يخطئه العار ،

حين مرّ الجنود ، الجسور كانت تلوى ،
تصايح مخنوقة وتسحق راکضة فوقها العجلات .
وقدة الصيف تبرد .
كان الخريف يوزّع يوزّع أسماه ، والشجيرات
كانت تعرّى وتوقف حتى يمرّ الجليد ويحكم فيها
الجسور التي تنقطع من وطأة العجلات استراحت .
العتاد ، الذخيرة تحصى لتوضع ثانية في
الصناديق .

●
حينما ترجع العربات تكون الوجوه مسافرة ،
والرؤوس تحارب .
والزمن المتقدم يجري الى الخلف .
وحين تلوح المداخن ينتبه العائدون ،
ويبدأ صمت جديد ...

●
قيل ان يطفأ الضوء في المكتب يجري الحديث :
« جنيفا جميله .
فاذا ما اتيت ستدفع كل الاجور ، الخرائط
عندي ، التقارير عندي ، انتخاب النقابة ؟ أسهل أسهل
مما تقدر . كان النقابي ميتا وانت تخوف منه ..
ساعة وسيأتونك منتصرين .
الاذاعة تجري مقابلة ،
الصحيفة تجري مقابلة ،
وتلصق فوق احتجاجاتهم بوسترات !
يطفأ الضوء ، وقهقهة تملأ التلفون ...

●
هنالك فوق الهضاب البعيدة ، بين الجبال
المحاطة بالليل والموت ، وفوق الدروب المحفرة الوجه
ظلت جسوم ممزقة ، وصنوف من اللحم والدم
والصرخات التي اختلطت بالتراب ..
هنالك ينبثق العشب ثائبة ، اللحم الاحمر
الاسود يمنحه خضرة ،
والدم المتجمد يرسم في الشمس اشكال قتلى
وأسماء جرحى ...

●
كان شاي الحديقة ، والجارة المستفزة تسمعه
صوتها وهو في البزة العسكرية منتظر لحظة
حين يخرج ، تخرج !
هذه صفحة .
صفحة ثانية :
كان فيض من الدم يفرق آخر ما تحمل الذاكره .
يتمدد فوق السرير ، الى رأسه قدح فارغ ،
وضماد على الجبهة والساق ، والكلمات تساقط
سائبة :

●
انتهى كل شيء .
لعبة الكرة ، الحب ، الحرب ... الرجل المتمدد
يلفظ أنفاسه ،
الطبيب يوقع آخر أوراقه :
انتهى كل شيء .

بغداد

●
خطأ في البداية .
المظاهرة انعطفت فجأة . لم يكن خط سير
المظاهرة الشارع الآخرا !
فوجئت بالهجوم من الجانبين !
كان يدري بأنه يوما يموت وكان يردد هذا بفخر
انما لم يكن خط سير المظاهرة الشارع الآخرا !
عشرة ... البقية معتقلون .

●
انطفأ العالم الساعة .
ظلت القطعات ترقب .
الليل ليل رجال وصمت .
الليل تقدم ، تحتاز اكداسه الكتل البشرية
تقطع العصب المتوتر صافرة
« استعدوا ! »
استعدوا . وقوفا وأوجههم رعشة باتجاه
السماء وأحداقهم تترصد ، تنتظر القاذفات ،
دقائق ، كان التمدد ، والوجه البشرية مدفونة
في التراب .

●
كان بار المحطة ممثلا جثا تتحرك . الضابط
المتألم من رضّ ساعده يتحدث :
رمينا ، رمينا ، ولم تنج في السفح صخره .
صبينا الرصاص القنابل حتى انحنت آخر
الشجرات .
انتهى الآن رعد القنابل والموت ، نستقبل الزهر
الحو ، نافورة في الحديقة ، دعوة رقص ، نواجه من
يتعشق فينا الحديث عن الحرب
والجبهة القرمزية .

●
نحن ما بين رؤيتنا للخيوط التي سوف تنسج
قمصانا ، والخيوط التي سوف تنسج أكفاننا ،
نترقب أخبارهم ان تجيء :
كان في القبو معتقل وجهه للجدار
ويطلب منه اعتراف بما كان حول الجذور ...

●
انتهت لعبة الكرة الآن أو أجلت ، انما قد
تدرب تدريبه الكامل ذلك الفريق .
حين كان المحكم ينحاز ، كاد لولا الخسارة ،
ينهال لكما عليه وينهي المباراة .
ان المحكم ينحاز في كل ما مرّ بي من لعب .

●
في الطريق الى البيت ، كان عزيق بأخرة مرة
بتحدث مع قبضة القعد الخشبي في الباص ،
يتمص منها الحلاوة يستنشق من عرق العابرين
بقبضاتهم فوقها فوج طيف . وكسان يلمط سرواله
الوحد ، وقبعة فوق رأسه قد سقطت تحته ، وقد
رفع الوجه نحوي
ليشهدني انها أقسمت ستجيء !

●
وقدة الصيف تنفذ حمرتها والتوهج .